حوليات جمعية كليات الآداب المجلد 1، العدد 1، 2004، ص ص 59- 84

اضاءات على جوانب من سيرة سيبويه وكتابه

حنا حداد *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بعض الجوانب الغامضة في حياة سيبويه وكتابه بعد أن أتضح أن كثيراً من هذه الجوانب بحاجة إلى إعادة درس وتأمل بغية وضع الأمور في مساراتها الصحيحة من حيث تتلمذ الرجل على بعض أشياخه وعدة الشواهد الشعرية التي ضمنها كتابه وطرائق رواية هذه الشواهد وموقفه من أصحابها، كما تحاول إثبات أن هذه النسخة التي نتداولها اليوم من كتاب سيبويه ليست هي النسخة الأم ولا هي النسخة المنقولة عنها، وأن أيدي النساخ والوراقين قد عبثت بها على مر الأيام بحيث أصبح من اللازم البحث عن نسخة (نسخ) مخطوطة أخرى من الكتاب تستند إليها نشرته الجديدة لكي نعطي الرجل حقه ولا ننسب اليه ما هو برئ منه .

تقدمة

مازال سيبويه بعد ثلاثة عشر قرناً من الزمان يشغل الناس بآرائه ويبهرهم بعبقريته التي تجلت في وضعه لكتابه الذي عز نظيره في تراثنا العربي، فوصفه العلماء بقرآن النحو تارة وبالبحر تارة أخرى وقالوا عنه مالم يقولوه في أي مصنف من وضع الأناسيً وكتبوا عنه أضعاف أضعاف حجمه.

وقد عشت مع هذا الكتاب وصاحبه فترة زمنية تجاوزت ربع قرن من الزمان، أقرأ فيه وأعالج مشكل قضاياه وأتتبع شواهده الشعرية تارة بمحاولة نسبة ما لم يأت منسوباً منها وأخرى بتتبع رواياتها وإكمال ما جاء ناقصاً أو مبتوراً منها. كما جعلت من بعض قضاياه المشكلة موضوعات لبعض البحوث والرسائل الجامعية لعدد من طلابي. كما كتبت عنه عدداً من البحوث والدراسات التي نشرتها المجلات العلمية المتخصصة.

وكنت طوال تلك المدة التي انشغلت فيها بالرجل وكتابه أقف أمام بعض الجوانب المضببة في كلٍ وتشغلني الاجابة عن عدد من الأسئلة المتعلقة بهما فأصل إلى أشكال من الجوابات عن هذه

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2004

* أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الأسئلة ولكنها في كل مرة لم تكن الجوابات الشافية التي تخلق عند المتسائل حالة من الشعور بالرضا عما توصل إلية أو الاقتناع بما توصل إليه فتزداد قناعتي بصحة ما وصفوا الكتاب به ويقيني بأهلية صاحبه بما دار حوله من جدل وتضارب في الآراء و وجهات النظر.

فهل حقاً أن نسخة الكتاب التي بين أيدينا اليوم هي صورة عن النسخة الأم التي تركها سيبويه وتداولتها الأيدي من بعده؟ وهل حقاً أن هذه النسخة لم تعبث بها أيدي النساخ على مر الأحقاب ولم يدخلها شيء من الإضافه أو يسقط من متنها جانب؟

هل حقاً كان سيبويه معنياً بمعرفة اسم صاحب الشاهد الشعري الذي يستشهد به؟ أم أن الذي كان يعنيه هو ما يتضمنه هذا الشاهد أو ذاك مما يخدم القضية التي يتحدث عنها ولا يقيم بعد ذلك وزناً لصاحب الشاهد ولا إلى الفترة الزمنية التي عاش فيها أو القبيلة التي ينتمي إليها؟

تقول مظان ترجمة الرجل والتعريف به: إن علمين من أعلام النحو العربي هما أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني كانا السبب في شهرة الكتاب وإعجاب الناس به على الرغم من أن الجرمي - كما قيل - لم يلتق سيبويه - في حياته. فهل حقاً كان هذا؟ وكيف يعقل أن رجلين في عمر واحد ولهما اهتمامات مشتركة يعيشان في بلد واحد ويتتلمذان على أساتيذ بأعينهم. كيف يعقل ألا يكونا قد التقيا في حياتهما؟

هل حقاً كان أبو زيد الانصاري واحداً من أشياخ سيبويه الذين تتلمذ عليهم ونهل من معينهم. وأنه أي - أبا زيد - كان الثقة الذي أكثر سيبويه من النقل عنه في كتابه؟

هل حقاً كان سيبويه معنياً بالاستشهاد بشعر من عاش في عصر نقاء اللغة وسلامتها وأنه لم يورد في كتابه من أبيات الاستشهاد غير ما تحقق الإجماع على سلامته؟ أم أنه قد خلط في شواهده الشعرية بين السليم والسقيم والصحيح والمصنوع والمعروف والمجهول والتام والمبتور. وهل كان سيبويه خصماً للكسائي في المسألة الخلافية المشهورة والمعروفة باسم المسألة الزنبورية؟ أم أن المسألة كانت من صنع المؤرخين وهواة الإثارة في صياغة الأحداث ورواية الأخبار؟

هل، وهل، وهل، أسئلة كثيرة تحاول هذه الدراسة الإجابة عن بعض منها بحياد وموضوعية بعيداً عن التعصب للرجل أو عليه. ونقول بداءة: إن بعض جوانب هذه الدراسة جاءت ضمن بحوث سبق لصاحب الدراسة أن نشرها في المجلات المتخصصة ولكن بعد العهد بهذه البحوث وندرة أعداد المجلات التي نشرتها شجع الباحث على اعادة توظيفها في هذه الدراسة لكي تتاح الفرصة أمام الأجيال الجديدة من الدارسين للاطلاع على ما سبق أن نشره الكهول في سنوات إنتاجهم الثرة. علّها تفيد.

الإضاءة الأولى

أبو زيد الأنصاري وسيبويه:(*)

لم يصرح من الذين ترجموا للرجلين أو عرفوا بهما أن سيبويه تلقى العلم على أبي زيد أو أخذ عنه شيئاً ألا أبو الطيب اللغوي الذي قال[1]: " وقد أخذ عن أبي زيد اللغة أكابر الناس منهم سيبويه وحسبك". ثم أبن الأنباري الذي قال في كتابه الإنصاف[2]: وكان أبو زيد الأنصاري من الثقات الإثبات في نقل اللغة وهو من مشايخ سيبويه. وكان سيبويه إذا قال "سمعت الثقة " يريد أبا زيد الأنصاري".

ولم يأت ابن الانباري على ذكر لهذا التتلمذ في كتابه "نزهة الألباء" الذي وضعه في تراجم اللغويين والنحاة والتعريف بهم. أما سواهما من كتاب التراجم فقد أجمعوا على القول: إن سيبويه تلقى علومه وأخذ النحو عن الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر الثقفي ويونس بن حبيب وغيرهم. واللغة عن أبي الخطاب الأخفش وغيره. فحشروا أبا زيد تحت قولهم: "وغيره" أو غيرهم".

ولا نعتقد أن أبا زيد كان حينذاك ممن ينضوون تحت هذا التعميم الذي ينم عن خمول الذكر وضئآلة المكانة. كما لا نعتقد أن حظ أبي زيد الانصاري من معرفة الناس به وشيوع ذكره، كانا إذ ذاك أقل من حظ الخليل ويونس وعيسى بن عمر والأخفش وهارون ولا أن مكانته العلمية كانت دونهم حتى لا يذكر اسمه صريحاً بين من تتلمذ عليهم سيبويه وكانوا مصدر علمه وثقافته.

ويسأل سائل، كيف اذن عرف أبو زيد الأنصاري عند الدراسيين شيخاً من أشياخ سيبويه ومصدراً من مصادر علمه التي اتكأ عليها في تأليف كتابه؟

يقول علي النجدي ناصف [3]: "والرابع ـ من شيوخ سيبويه ـ أبو زيد، ولم أر سيبويه في الكتاب يروي عنه " ومع هذا فقد اعتمد ناصف على ما أثر عن أبي سعيد السيرافي من قوله [4]: وذكر أبو زيد النحوي اللغوي كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه، قال: كل ما قال سيبويه: " وأخبرني الثقة فأنا أخبرته ".

ويعلق ناصف على هذا الخبر بقوله[5]: "وهو كلام يدل على أن السيرافي يشك في صحة هذه الدعوى لأنه يحمله تبعتها ويردها فيه إلى ما يشبه الفخر بها، ولكن بعد موت سيبويه حين تقطع ما بينه و بين الأحياء فما يستطيع إنكاراً ولا إقراراً. ثم يتابع ناصف قائلاً: [6]"وأرى برغم ذلك أن أبا زيد حقيق بالتصديق فقد قال سيبويه في الكتاب: وأخبرني الثقة أو ما يشبهها غير مرة وادعى أبو زيد أنه المعني بها ولم يذكر الرواة أن أحداً نازعه إياها".

ونقول: إن الخبر الذي ذكره السيرافي (ت 368هـ) واتكأ علية ناصف فيما ذهب إليه مسبوق بقول ابن قتيبة (ت 276هـ) قبل ما يقرب من قرن من الزمان. فقد قال ابن قتيبة [7]:

حدثني ابو حاتم قال: حدثني أبو زيد، قال: كان سيبويه غلاماً يأتي مجلسي وله ذؤابتان قال: وإذا سمعته يقول: "حدثني من أثق بعربيته فإنما يريدني" ولا شك أن السيرافي كان قد وقف على هذة المقولة، فساقها في كتابه بعد أن اسقط إسنادها حتى جاءت على شكل يوحي بأنه مصدرها الأول.

وقد تضمن كتاب سيبويه الذي بين أيدينا اليوم ذكراً صريحاً لأبي زيد وهو ذكر لم يقف عليه ناصف في نشرة بولاق التي اعتمد عليها في تأليف كتابه إذ جاء اسم أبي زيد في موضعين من الكتاب:

الأول: في باب الإضافة الى الجمع فقد جاء فيه [8]: " وقال ابو زيد: " ألنسبة إلى محاسن محاسني لأنه لا واحد له فصار بمنزلة نفر ".

الثاني:"في باب عدة ما يكون علية الكلم " فقد جاء فيه [9]: قال أبو عمرو (كذا) سمعت أبا زيد يقول: رميت عن القوس، وناس يقولون رميت عليها وانشد:

أرمي عليها وهي فرع أجمع وهي ثلاث اذرع وإصبع

وهذا الذي ذكر في كتاب سيبويه مدفوع من وجوه:

الأول: إن (أبو عمرو) هذا هو (أبو عمر) صالح بن اسحق الجرمي تلميذ أبي زيد ولكن تحريفاً وقع في كنية الرجل لم يلتفت اليه محقق الكتاب فأثبته على حاله.

الثاني: إن طبعة بولاق من كتاب سيبويه جاءت خالية من هذين النصين مما يؤكد أنهما من الزيادات التي أضيفت الى الكتاب فيما بعد، فضلاً عن خلو بعض النسخ التي اعتمد عليها هارون في تحقيق الكتاب منهما، كما صرح هو نفسه بذلك [10].

الثالث: إن الأعلم الشنتمري قد ساق الشاهد الشعري الذي تضمنه النصّ الثاني على انه مما أنشده الجرمي في الباب[11].

وتأسيسا على ما سبق فإننا نحتمل مما يلي:

أولاً: أن سيبويه لم يتتلمذ على أبي زيد الانصاري وأنه لم يأخذ عنه شيئاً إنْ في اللغة و إنْ في غيرها وأن ادعاء أبي زيد وما نسب اليه فيما ذكره ابن قتيبة والسيرافي من قوله: " كل ما قال سيبويه وأخبرني الثقة فأنا اخبرته " أو " "فإنما يعنيني " أو " فإنما يريدني " ليس إلا نوعاً من الافتخار والمباهاة ـ كما قال ناصف ـ ولكن بعد موت سيبويه حين تقطع مابينه وبين الأحياء فما يستطيع انكاراً ولا إقراراً.

ثانياً: أن سيبويه قد تتلمذ حقاً على أبي زيد الانصاري ونقل عنه ولكنه لم يصرح باسمه أسوة بغيره من الأعلام الذين أفاد منهم كالخليل ويونس وعيسى بن عمر والاخفش وهارون ابن موسى لعقوق منه أو لأمر في نفسه.

وتجدر الاشاره هنا الى أن الصيغ المدحية " وحدثني من أثق بعربيته " أو "وسمعت الثقة" أو " وأخبرني الثقة " ليست هي وحدها الصيغ المدحية التي ذكرت في الكتاب، ولكنه تضمن صيغاً أخرى ذات معان مدحية متقاربة. كما أن هذة الصيغ لا تعني انساناً بعينه إذ ربما عنى بها سيبويه أي أعرابي أطمأن الى سلامة لغتة وفصاحة لسانه فسمع منه أو نقل عنه كما تظهره النماذج المدحية التالية:

* وسمعت من أثق به من العرب يقول: [12]
* وسمعنا الثقة من العرب يقول [13]:
* وسمعنا ذلك ممن يوثق به من العرب [14]:
* وسمعنا بعض من يوثق بعربيته يقول [15]:

وغير ذلك من عشرات الصيغ المدحية التي لا تدل على أن سيبويه قد أخلصها إلى إنسان معين أو قصد بها شخصاً بذاته. وأما ما يمكن أن يكون خاصاً بإنسان محدد وشخص بذاته ويكون المقصود به أبا زيد ـ كما قيل ـ فقول سيبوبه في أماكن قليلة جداً من كتابه:

* وزعم من نثق به أنه سمع رؤبة يقول [16]:
* وحدثني من نثق به أنه سمع من العرب من يقول [17]:
* أنشدنا من نثق به وزعم أنه جاهلي [18]:
* وزعم من يوثق به أنه سمع من العرب [19]:
* وحدثني من لا أتهم عن رجل من أهل المدينة موثوق به [20]:

وواضح أن المقصود بهذا القول الأخير رجلاً غير أبي زيد الانصاري لأن سيبويه هنا يعين الرجل الموثوق به، وأنه من المدينة. ولم يكن أبو زيد من سكان المدينة ولا هو من المنسوبين أليها.

والذي نرجحة، أن سيبويه قد حضر دروس أبي زيد عندما كان غلاماً يافعاً يطلب العلم ويتنقل بين حلقات العلماء ومجالسهم وقد صرح أبو زيد نفسه بهذا في قوله: " كان سيبويه غلاماً يأتي مجلسي وله ذؤابتان " [21] ولكنه لم يلازمه ملازمة التلميذ لأستاذه ولم يرتبط به

ارتباطه بالخليل ويونس وعيسى بن عمر وغيرهم من الأساتذة والشيوخ. وقد يكون سيبويه قابس أبا زيد مرة أو مراراً في بعض قضايا اللغة أو ناقشه فيها. ولكن هذا لم يتم ـ في اعتقادنا ـ في حلقات درس منظمة وبين أستاذ وتلميذه، ولكنه تم عرضاً بين رجلين مهتمين باللغة ومصادفة بين اثنين يشغلهما هم واحد.

والذي يؤكد ما نذهب اليه أن سيبويه قد بلغه عن أبي زيد جواز أن يقال: "فإذا هو إياها" في المسألة الخلافية [22] المشهورة بينه وبين الكسائي ولكنه لم يأخذ برأي أبي زيد ولم يوافقه عليه وهو كما قيل عنه العالم الثبت واللغوي الثقة لأن سيبويه كما يقول أبو حيان الاندلسي [23] " قد بلغتة هذه اللغة فلم يقبلها ولا عرج عليها لأنه ليس كل من سمع منه أهلاً عنده للقبول منه والحمل عنه " فأبو زيد عند سيبويه في هذه المسألة ـ وربما في غيرها ـ ليس أهلاً للقبول منه والحمل عنه فكيف إذن يقال من بعد: إنه كان شيخه ومصدراً من مصادر علمه وثقافته؟

الإضاءة الثانية

الشواهد الشعرية وعدتها في الكتاب:(**)

تقول المصادر إنْ أبا عمر الجرمي قال: "نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا، فأما الألف فعرفت أسماء قائليها، وأما الخمسون فلم أعرف قائليها". [24]

وعلى الرغم من الاضطراب في رواية الخبر في بعض المصادر، إلا أن العدد في كل منها واحد. أي أن عدد الشواهد الشعرية في نسخة الجرمي من كتاب سيبويه ـ وهي التي اطلع عليها في عصر صاحبها ـ كان ألفا وخمسين بيتا من الشعر. وهذا ما يدفعنا الى التسليم ـ الى حين ـ بأن العدد الصحيح للشواهد الشعرية في النسخة الأصلية لكتاب سيبويه هو الذي ذكره أبو عمر الجرمي.

ولكن، كم عدد الشواهد الشعرية في نسخة الكتاب التي بين أيدينا؟

يقول الأستاذ أحمد راتب النفاخ في مقدمة الفهرس الذي صنعه لكتاب سيبويه: " على أني لا أستبعد أن يكون الأصل الذي نشر عنه الكتاب أتم أصوله في هذا الباب وذلك أن عدة الشواهد فيه، وقد بلغت في إحصائي سبعة وأربعين بيتا وألف بيت بإلغاء المكرر، يقارب ما أثر عن الجرمي في تعداد شواهده في كلمته المشهورة " [25] وهذا الرقم الذي ذكره الأستاذ النفاخ ينقص عن الرقم الذي أحصيته بعد تفريغ شواهد الكتاب شاهدا واحدا، أي أن الرقمين متطابقان تقريبا، وينقصان عما ذكره الجرمي في الخبر السابق شاهدين اثنين. ولا بأس في هذا، فالفرق ضئيل ودلالته واهية.

ولكنني عثرت على عدد غير قليل من الشواهد الشعرية ادّعى أصحاب المصنفات التي وردت فيها بأنها من أبيات الكتاب. وقد كان ممكنا عدم الالتفات إلى هذه النسبة أو الاطمئنان إلى أقوال أصحاب المصادر التي أوردتها، لو أن عدد هذه الشواهد كان قليلا، أو لو أن هذه الشواهد جاءت في مصدر أو مصدرين، ولكنها جاءت في مصادر مختلفة كان من جملتها مصنفات وضعت في المقام الأول لخدمة كتاب سيبويه وشرح شواهده ومعظمها لعلماء أجلاء نثق بهم ونطمئن إلى أمانتهم العلمية. فما دلالة هذا؟ وماذا تعني هذه الشواهد غير القليلة التي نسبت إلى الكتاب وليست فيه، إلا أن تكون يد العبث قد امتدت إلى هذا الكتاب فأضافت إليه وحذفت منه ونسبت إلى صاحبه ما هو بريء منه.

وفيما يلي ثبت بهذه الشواهد مع تعليقات أصحاب المصادر التي أوردتها.

1. فَمَالِيَ إلا آل أحمدَ شِيعَةٌ وَمَالِيَ إلا مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ

ذكره ابن السيرافي في كتابه [26]على أنه مما أنشده سيبويه في كتابه وقدمه بقوله: قال سيبويه في الاستثناء، قال الكميت: فما لي إلا آل... الخ.

2. دَعَنِي فَأَذْهَب جَانِباً يوما وأكفك جَانِبا

ذكره الزمخشري([27] وقدمه بقوله: وسأل سيبويه الخليل عن قوله تعالى[28] (رَبِّ لوْلا أَخَّرْتني إلى أجَل ٍفاصّدّقَ وأكُنْ مِنَ آلصّالِحَين) فقال: هذا كقول عمرو بن معد يكرب دعني فأذهب... الخ.

وقد علق البغدادي[29] على ما قاله الزمخشري قائلا: أقول: بيت معد يكرب لم يورده سيبويه في كتابه البتة، لا هنا ولا في موضع آخر.

3 ـ يَبْكِيْكَ ناءٍ بَعيدُ الدّارِ مغتربُ يَا لَلْكُولِ ولِلشُّبان لِلْعَجبِ

أورده الصيمري[30] في باب الاستغاثة وقدمه بقوله: " فإذا استغثت باسمين أحدهما على الآخر كسرتَ لامَ المعطوف لأن حرف العطف أزل اللبس و شرك بين الاسمين فتقول: يالَزَيدٍ وَلِعَمْرٍو، بكسر اللام من عمرو، لما بيَّنا وأنشد سيبويه: يبكيك ناء بعيد... الخ.

4 ـ تَكَادُ أواليها تَفَرّى جلُودُها ويَكْتَحِلُ التّالِي بَمُورٍ وحَاصِبِ

ذكره ابن جني في كتابه[31] وقدمه بقوله: وكأن الخليل إنما ذهب إلى القلب في هذا لانه رآهم قلبوا نظيره ممّا لامه صحيحة نحو قول الشاعر أنشده سيبويه: تكاد أوليها...

5 ـ فَصَدقْتُهُ وكَذَبْتُهُ وآلمَرءُ يَنْفَعُه كِذَابُهْ

أورده الصيمري[32] في باب " من أبنية المصادر " وقدمه بقوله:

وجاء على فعال، قالوا: كذب كِذَاب، وكتب كِتَاب، وأنشد سيبويه: فصدقته وكذبته... الخَ

6 . أتيتُ مُهَاجرِين َفعلّمُوني ثَلاثَةَ أحرفٍ مُتتابعَاتٍ

وخَطوا لي أبا جاد وقالوا تَعَلّمْ صَعفضا وقريّسَاتِ

شرحهما الاعلم الشنتمري[33] على أنهما مما أنشده سيبويه في باب " تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الأسماء ".

7 . صَفِيّة قُومِي وَلاَ تَعْجزِي وبَكّي النّسَاء عَلى حَمْزَة

ذكره ابن رشيق[34] وقدمه بقوله: غير أن سيبويه أنشد فيما يجوز تقييده واطلاقه: صفية قومي...الخ.

8 . يَارَبّ إن كُنْتَ قَبِلْتَ حَجّتِجْ

فَلا يَزالُ شَاحِجُ يَأتِيكَ بجْ

أقْـمَرُ نَـهّـاتُ يُـنَـزّي وفْرتِـجْ

أورده الصيمري[35] في باب " أبدال الجيم " وقدمه بقوله: وقد يبدلونها ـ أي الجيم ـ من الياء الخفيفة أيضا، أنشد سيبويه: ياربّ إن كنت...الخ.

9 ـ مَرُوا عـجَالى وقَالوا كَيْفَ سَيّدُكم فَقَال مَنْ سُئلوا: أمْسَى لَمجْهُودَا

شرحه العيني[36] وعلق عليه بقوله: أقول هذا من أبيات الكتاب ولم ينسب فيه إلى أحد.

10 . لأجْدَلَنّك أو تَملّك فِتْيَي بيدي صِغار طَارفاً وتَلِيْدا

شرحه العيني[37] وعلق عليه بقوله: أقول: أنشده سيبويه ولم ينسبه إلى أحد.

11 ـ فَما سَبقِ القَيسِي مِن ضَعْفِ خَيْلِه ولَكنْ طغَتْ عَلماءِ غرلةُ قُنْبرِ

ذكره ابن السيرافي[38] والبغدادي[39] وابن الشجري[40]، وابن عبد ربه[41] وقدموه بقولهم: وأنشد سيبويه للفرزدق: فما سبق القيسي...الخ.

كما أشار الاعلم الشنتمري[42] إلى هذا الشاهد بقوله: هذا آخر جملة ما اشتمل عليه الكتاب من الشواهد، وفي بعض النسخ في آخر الكتاب مما يحمل عن المازني أنه الفاه مثبتا فيه قول

الفرزدق: فما سبق القيسي...الخ وقد ذكر الأستاذ عبد السلام هارون[43] أن هذا الشاهد وجد برواية: غرلة خالد بخط سيبويه نفسه عند رجل من بني هاشم يقال له عبد السلام بن جعفر.

12 ـ وَغَبْراء يَحْمي دُوْنُها مَا وَرَاءها وَلاَيَخْتَبِطْهَا الدّهْر إلاّ مُخَاطِرُ

ذكره ابن السيرافي[44] وقدمه بقوله: قال سيبويه، قال ذو الرمة: وغبراء يحمي...الخ.

13 ـ فَقَلنا إسْلَموا إنا أخُوكم فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْ الاحِنِ الصُدورُ

ذكره ابن الشجري[45] وقدمه بقوله: أما قول الآخر وهو من أبيات الكتاب: فقلنا أسلموا...الخ.

14 ـ لَـمّـا رَأيْتُ مِـلْـجَرَادِ عَـاذِرَا
أخذْتُ كُرْزى وَدَعـوْتُ عَـامِرا
لِكلّ عَيْسـاء تُـسرُ النّاظِرَا
يَـخـرجُ مَنْهـا ذَنَبـاً حُبَـاجِرا
رِزْقٌ مِن الرّزقِ يَجـيءُ المَـائِرا
سَرَتْ وَضَرّتْ بـادِيـاً وحَاضِرا

أوردها ابن الانباري[46] في كتابه وقدمها بقوله: قال أبو هفان: أنشدني الجرمي عن سيبويه لأعرابي: لما رأيت ملجراد...الخ.

15 ـ وَخَـادعْتُ المَنيَةَ عِنْكَ سِرّا

أورده ابن سيده الاندلسي[47] وقدمه بقوله: بدلالة ما أنشده سيبويه: وخادعت المنية...الخ.

16 ـ مَتَى تَرِدَن يَوْماً سَفَـار تَجِدْ بِها أدَيْهِمَ يَرْمِي المُسْـتَجزَ المُعَوّرا

أورده ابن هشام[48] وقدمه بقوله: قال الشاعر: أنشده سيبويه: متى تردن يوما...الخ.

17 ـ نَـجَا سَـالِمُ والنّفسُ مِنْه مَشُوقَة وَلَمْ يَنْخُ إلا جَفْنَ سَيْف وَمِئْزَرَا

ورد في شرح أشعار الهذليين[49] ما نصّه: وُجد بخط أبي الطيب أخي الشافعي قال سيبويه: كأنه قال: نجا ولم يَنْجُ، كما تقول: تكلم ولم يتكلم، اذا كان كلامه خفيفا، ونصب " جفن سيف " على الاستثناء المنقطع.اهـ

ويشير هذا التعليق ـ كما هو واضح ـ الى أن هذا البيت وهو من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي هو أحد أبيات الكتاب، ولذا علق محقق شرح أشعار الهذليين على هذا التعليق بقوله: لم أجده ـ يعني الشاهد ـ في الكتاب لسيبويه المطبوع ولعله ساقط منه.

18 ـ إنْ أمرءاً غَرّه في الدّنيا وَاحِدة بَعْدِي وبَعْدَك في الدُّنيا لَمغْرورُ

شرحه العيني[50] وقدمه بقوله: أقول هذا البيت احتج به سيبويه ولم يعزه الى أحد.

19 ـ تَرَاه إذَا دَارَ العِشَا مُتَحنّفاً ويُضْحَى لَديهِ وهو نَصْرَانُ شَامِسُ

ذكره القرطبي[51] وقدمه بقوله: قال الخليل: واحد النصارى نصري كمهري ومهارى. وأنشد سيبويه شاهدا على قوله: تراه اذا دار العشا...الخ.

20 ـ وقَيْس عَيلان ومَنْ تَقيّسأ

ذكره السهيلي[52] وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه: وقيس عيلان...الخ

21 ـ نُعَلقُ في مِثل السّوارِي سُيُوفَنا ومَا بَيْنَها والكعبِ غُوطُ نَفَانفُ

أورده الفخر الرازي[53] وقدمه يقوله: وأنشد سيبويه: نعلق في مثل السواري...الخ

22 ـ لَواحِق الاقراب....الخ.

ذكره ابن منظور [54] وقدمه بقوله: ونظيره ما أنشده سيبويه: لواحق الاقراب...الخ.

23 ـ أما واللهِ أنْ لو كُنْتَ حُراً ومَا بالحرُ أنتَ ولا العَتيقِ

أورده العيني[55] وعلق عليه بقوله: أنشده سيبويه ولم يعزه الى أحد.

24 ـ فَتوْضحَ فالمقْراةِ لَمْ يَعْفُ رسمها لِمانَسَجتْها مِنْ جَنُوبٍ وشَمأل

ذكره القرطبي[56] وقدمه بقوله: كما أنشد سيبويه: فتوضح فالمقراة...الخ.

25 ـ عَجَائِبُ تُبْدِي الشَيْبَ فِي قُلّةِ الطّفلِ

أورده الصغاني[57] وقدمه بقوله: وقال الجوهري: وأنشد سيبويه: عجائب تبدي الشيب...الخ. و قد علق الصغاني على هذا الشاهد بقوله: ولم أجده في أبيات سيبويه.

26 ـ حَلفتُ لها باللهِ حلفةَ فَاجِرٍ لَناموا فَمَا إنْ مِنْ حَديثٍ ولا صَالِ

أورده الشنقيطي[58] وعلق عليه بقوله: واستشهد سيبويه والرضي بهذا البيت...الخ.

27 . بَيْنَما نَحنُ بالكَثِيبِ ضُحَى إذْ أتَى رَاكِبٌ علَى جَمَلِهْ

أورده المرزوقي[59] وقدمه بقوله: واستشهد سيبويه بقوله: بينما نحن بالكثيب...الخ

28 . فَمَا أصْبَحَتْ عالأرْضِ نَفْسٌ فَقِيرة ولا غَيْرُهَا إلا سُلَيْمَانُ مَالُهَا

أورده ابن السيرافي[60] وقدمه بقوله: قال سيبويه في باب ما جاء شاذا فخففوه على ألسنتهم: ومن الشاذ قولهم في بني العنبر وبني الحارث:

بلحارث وبلعنبر وعلماء بنو فلان، قال الفرزدق: فما أصبحت عالأرض...الخ. ثم علق ابن السيرافي على هذا الشاهد بقوله:" هذا البيت يقع في بعض النسخ، وفي بعضها لا يقع ".

29 . لِهُنَكِ مِنْ عَبْسِية لَوسيْمَةٌ عَلى هَنَواتٍ كَاذبٌ مَنْ يَقُولُها

ذكره ابن فارس[61] وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه: لهنك من عبسية...الخ.

30 . تَراهُ وقَدْ فَاتَ الرُمَاةَ كَأنّه أمَامَ الكلابِ مصغيُ الخد أصْلمُ

أورده ابن الخشاب[62] وعلق عليه بقوله: هكذا أنشده صاحب الكتاب بالرفع.

31 . كَيْ تَجْنَحُونَ إلى سِلْمٍ وَمَا ثَئِرت قَتْلاكُمُ ولَظى الهَيْجاء تَضْطرِمُ

أورده كل من العيني[63] والسيوطي[64] وعلقا عليه بقولهما: هو من أبيات الكتاب ولم يعز الى قائل.

32 . لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْثِمِ
يَفْضُلها في حَسَبٍ ومَيْسِمِ

أوردهما البغدادي[65] وعلق عليهما بقوله:... من رجز لحكيم بن معية الربعي... نسبه سيبويه في موضع آخر من كتابه.

ويفيد كلام البغدادي هذا أن سيبويه قد استشهد بهذا الرجز مرتين في كتابه فصرح بنسبته في الأولى وأغفلها في الثانية. فاذا عدنا الى نسخة الكتاب التي بين أيدينا، وجدنا أن سيبويه لم يستشهد بهذا الرجز الا مرة واحدة من غير نسبة[66].

33 . أشَاقتْكَ أضْعَان بحفرِ أبنْبمِ نعم بُكراً مِثْلَ الغَسيلِ المُكَمّمِ

أورده ياقوت الحموي[67] وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه لطفيل الغنوي: أشاقتك أظعان...الخ.

34 ..... وَإنْ مِنْ خَريفٍ فَلَنْ يعْدِمَا

ذكره الاعلم الشنتمري[68] وقدمه بقوله: وأنشد من بعده قول النمر: وان من خريف...الخ.

35 . وَأَتَى صَوَاحِبُها فَقُلْنَ هَذَا الّذِي مَنَح المودةَ غَيْرَنَا وَجَفَانا

أورده الصيمري[69] في باب ابدال الهاء وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه: وأتى صواحبها. الخ.

36 . عَجِبَ النّاسُ وقَالوا: شِعْر وضّاح اليَمَاني

إنّمَا شِعْرَى قَنْدُ قَد خُلِطْ بالجُلجُلاَنِي

أوردهما ابن عبد ربه الاندلسي[70] وقدمهما بقوله: ومن قولهم في تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبويه في كتابه: عجب الناس.... الخ.

37 . إذا فَاقِدُ خَطْبَاء فَرْخين رَجّعت ذَكَرتُ سُلَيْمى في الخَليطِ المُبَاينِ

أورده ابن منظور[71] وعلق عليه بقوله: قال ابن سيده: هكذا أنشده سيبويه بتقديم خطباء على فرخين.

38 . إذَا مَا تَرعْرع فِيْنَا الغُلامُ فَمَا إنْ يُقَالَ مَنْ هُوَهْ

أورده ابن يعيش[72] وقدمه بقوله: وأما "هو" من الاسماء المضمرة فان الأكثر الوقف عليها بالهاء لبيان حركة الواو، وكذلك الوقف على "هي" تقول: هيه ولا تحذف منه شيئا كما تحذف من المتمكن، قال الشاعر أنشده سيبويه: اذا ما ترعرع... الخ.

39 . لا يَنفعُ الشّاوي فِيْها شَاته

أورده ابن جني[73] وقدمه بقوله: وعليه بيت الكتاب: لا ينفع الشاوي...الخ.

40 . فَقَال أراها يَحْسِرُ الالُ مَرّةَ فَتَبْدُو وأخْرَى يَكْتَسِي الالُ دونُها

أورده ابن السيرافي[74] في كتابه وقدمه بقوله: قال سيبويه في الظروف: وقد يكون دونها الرفع، يريد أنه يجوز فيه التمكن، ووقع بعد هذا في الكتاب بيتان،وقيل أنهما ليسا من الكتاب أحدهما بيت ذي الرمة: فقال أراها يحسر... الخ.

41 . فَأَشْهدُ عِند اللهِ أنْ قَدْ رَأيْتُها وَعشرونَ مِتْها إصْبَعاً مَنْ وَرَائيا

أورده ابن يعيش في كتابه[75] وقدمه بقوله: وأنشد سيبويه لعبد بني الحسحاس: فأشهد عند الله... الخ.

ويقول أبو جعفر النحاس[76]: " جُملةُ أبيات كتاب سيبويه مما جمعه من الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وأبي الخطاب وغيرهم، ألف وخمسون بيتا منها خمسون غير معروفة ـ سأوجز في شرح معانيها وحل مشكلاتها ولا أخِلُ بمهم من اعرابها ".

فاذا نحن أحصينا مجموع ما أورده النحاس في كتابه من الشواهد الشعرية، بعد اسقاط المكرر، لوجدناه (709) شاهد من بينها (68) شاهدا غير موجودة في كتاب سيبويه.

وقد نتفق مع محقق الكتاب في قوله[77]: " وأكبر الظن أنها ـ أي الابيات غير الموجودة في كتاب سيبويه ـ مما استشهد به النحاس لتوضيح قضية أو تبيين مشكلة " فقد نص النحاس نفسه على ذلك صراحة عندما ساق بعض هذه الأبيات رواية عن أبي علي قطرب[78] (ت بعد 212هـ) وهو أحد تلاميذ سيبويه، ولكن أنى لنا أن نتفق معه في بعضها الآخر وقد صُدّرت بالقول: أنشدني الخليل أو أنشدني الخليل ويونس[79]ونحن نعرف أن هذه العبارات هي عبارات سيبويه في كتابه، وان معظم ماورواه سيبويه في كتابه كان عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب.

ويبدو مقبولا أن نعد الأبيات التي جاءت في ثنايا الباب، أبياتا أوردها النحاس لتوضيح القضايا وتبيين المشكلة، ولكن ما موقفنا من ألأبيات التي افتتح النحاس بها بعض أبواب كتابه هذا؟ الا يعني أن يفتتح الرجل الباب من كتابه بشاهد شعري أن هذا الشاهد هو من أبيات سيبويه التي سيدور الحديث عنها، والتي سيقوم بشرح معانيها وحل مشكلاتها كما وعد؟.

سوف نفترض أن معظم هذه الأبيات ـ ومنها التي قام الدليل عليها ـ مما استشهد به النحاس لتوضيح مشكل أبيات سيبويه فنستبعدها، ولكن بعضها الآخر لا يمكن الا أن يكون من أبيات الكتاب التي شرحها فالمنطق والعقل يقولان هذا والأدلة تنهض دليلا على إثباته، أما هذه الأبيات فهي:

43 ـ فَلا لَغْوُ ولا تَأْثِيْمَ فِيْهَا ومَا فَاهُوا به لَهمُ مُقيمُ

افتتح به النحاس[80] باب " النفي والجحود " وقدمه بقوله: تقول: لا مالَ ولا مالُ لك اذا فتحت ذهبت به مذهب النفي وصيرت شيئين شيئا واحدا، " لا" و"الاسم" ففتحت من غير تنوين، وأما الرفع فعلى معنى قولك: ليس مَالٌ لك، أنشدني الخليل: فلا لغو ولا تأثيم... الخ.

44 ـ تَعدونَ عقَرَ النيبَ أفْضَل مجدكم بَني ضَوطرَى لولا الكميّ المُقَنّعا

افتتح به النحاس[81] باب " ما يختار فيه النصب وليس قبله منعوت ".

45 ـ إنْ الحَيّ و القومَ الذي أنَا مِنْهم لأهَلُ مَقَاماتٍ وشَاءٍ و جَامِلِ

افتتح به النحاس[82] باب " الحروف التي تكون مخففة في معنى مشددة " وقدمه بقوله: من ذلك، إنْ زيداً قائمُ، فَـ "إنْ" مخففة في معنى مشددة. قال: أنشدني الخليل بن أحمد: ان الحي والقوم... الخ.

46 ـ وَاْعْورُ مِنْ نَبْهان أما نَهَارُه فَاعْمَى وأمّا لَيْلهُ فَبَصيرُ

أورده النحاس[83] وقدمه بقوله: وأنشدني الخليل ويونس في لغة النجديين والغوريين تهامة: وأعور من نبهان... الخ.

47 ـ رَأتْ مَرّ السنين أخَذْنَ مِني كَمَا أخَذ السرار مِنْ الهلالِ

افتتح به النحاس[84] باب " ما يخبر فيه عن المضاف مرة و إنْ شئت عن المضاف اليه.

فإذا نحن أضفنا هذه الشواهد إلى ما قيل انها جاءت في كتاب سيبويه في أوثق نسخه وأتمها، لأصبح مجموع شواهد الكتاب الشعرية (1097) شاهد، ونكون حينئذ أمام واحد من هذه الاحتمالات الثلاثة:

الأول: إن هذه الشواهد الشعرية الجديدة هي حقا من شواهد الكتاب، فيكون مجموع شواهد الكتاب الشعرية (1097) شاهد، ويقوى عندنا الاعتقاد بأن نسخة الكتاب التي بين أيدينا تنقص كثيرا عن النسخة الام ولا تتطابق معها، ويكون كلام الجرمي لا اساس له من الصحة.

الثاني:ان اصحاب المصادر والمراجع التي ذكرت هذه الشواهد، وادعوا بأنها من أبيات الكتاب ـ وكلهم ثقات أفاضل ـ مخطئون جميعا، يتقولون على الكتاب وصاحبه، وينسبون اليه ما ليس منه، وهذا ما يزعزع الثقة بهولاء الأعلام ويطعن في أمانتهم العلمية.

الثالث: ان الرقم الذي ذكره أبو عمر الجرمي لشواهد الكتاب الشعرية هو الرقم الصحيح، وان هذه الشواهد التي عثرنا عليها كانت أصلا من شواهد الكتاب الشعرية ولكنها أسْتُبْعِدتْ مع الأيام وحلت محلها شواهد جديدة. وهذا أيضا ما يقوى الاعتقاد الذي نعتقده من أنّ هذه النسخة التي بين أيدينا اليوم من كتاب سيبويه تنقص الكثير، وأنها ليست مطابقة للنسخة الام ولا للنسخة المنقولة عنها.

وإذا كانت هذه حال النسخة التي بين أيدينا من الكتاب، فأنها ليست أفضل حالا من نسخ السلف منه، فقد أدركوا هم أيضا مثلنا أن زيادات قد وقعت في الكتاب، وأن بعض شواهده الشعرية ليست مما رواه سيبويه عن شيوخه وساقه في كتابه فأشاروا الى ذلك ونصوا عليه، ومع أن أكثر هذه الشواهد ليست مما في النسخة التي بين أيدينا، إلا أن للأمر دلالته التي لا تخفى.

الإضاءة الثالثة

كتاب سيبويه في طبعته المتداولة(***)

نُشر كتاب سيبويه في العصر الحديث غير مرة، وإذا كان أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني أول من أظهراه للناس والسبب في تعريفهم به وإشهار أنه لسيبويه في العصور السابقة [85]. فإن المستشرق الفرنسي هـ. درنبرغ Hartaig Derenbourg هو أول من قام بنشره بين الناس في العصر الحديث بعد أن ظل قروناً طويلة حبيس خزائن المخطوطات ودور الكتب عزيز المنال بعيداً عن أيدي الدارسين والمهتمين. وقد أجمل لنا المتتبعون لمسيرة هذا الكتاب وطبعاتة المختلفة، فقالوا [86]: كانت أول طبعة من الكتاب بعناية المستشرق الفرنسي درنبرغ أستاذ العربية الفصحى بالمدرسة الخاصة للغات الشرقية في باريس الذي نشره في باريس عام 1881 ـ 1889 وقد جاءت هذه الطبعة في مجلدين مع مقدمة باللغة الفرنسية ثم أعاد الناشر الألماني جورج أولس إصدار هذه النشرة بطريقة الأوفست سنة 1970 كما أعيدت مرة أخرى بالطريقة نفسها والسنة نفسها في نيويورك.

كما نشر الكتاب بعناية كبير الدين أحمد في كلكتا / الهند سنة 1887 وبين العامين 1898 و1899 صدر الكتاب عن مطبعة بولاق الاميرية في مصر بعناية محمود مصطفى في مجلدين وعلى هامشه تقريرات من شرح أبي سعيد السيرافي للكتاب وبأسفل صفحاتة كتاب " تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في "علم مجازلات العرب " للأعلم الشنمتري وهو شرح لشواهد الكتاب الشعرية وتعليقات عليها وقد أعادت مكتبة المثنى في بغداد نشر هذه الطبعة بطريقة الاوفست سنة 1964، كما صدرت للكتاب نشرة عن مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت سنة 1967، وقد كانت آخر طبعات الكتاب، تلك التي صدرت عن دار القلم بالقاهرة عام 1966 ـ 1977 بتحقيق عبد السلام هارون. وقد صدرت عن هذه الطبعة نشرة ثانية عن دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة 1968 وأخرى عن الهيئة المصرية العامة للكتاب 1971 ـ 1977 في خمسة مجلدات خصص الخامس منها لفهارس الكتاب واقاليده التي صنعها محققه ليخدم قرّاءه بها.

وقد تعاورت المكتبات التجارية في العالم العربي هذه الطبعة من بعد فقامت بتصويرها ونشرها بأجزائها الخمسة غير مرة.

وهذه الطبعة التي أصدرتها المكتبات المختلفة بتحقيق عبد السلام هارون هي الموجودة الآن بين أيدى الباحثين والدارسين يعودون أليها ويصدرون عنها فيما يقررونه من أحكام في اللغة والنحو والأصوات. وقلما تجد مهتماً بالتراث النحوي واللغوي لا يمتلك نسخة من هذه الطبعة ولا يحيل أليها فيما يكتبه من بحوث ودراسات.

ولما كانت هذه الطبعة من الكتاب هي السائرة بين الناس وهي أقرب طبعات الكتاب تناولاً كان لنا أن نلقي هذه الإضاءة عليها ونسأل.

هل هذا الكتاب الذي نتداولة اليوم منسوباً لسيبويه هو صورة عن النسخة الأم أو النسخة المنقولة عن الأم؟

هل النسخة التي بين أيدينا اليوم هي المبرّأة من عبث النساخ بمادتها والزيادة عليها مما ليس في الأصل منها؟

لسنا ننكر أن الأستاذ هارون قد اجتهد في اختيار النسخ المخطوطة التي اتخذها أصلاً لهذه النشرة وأنه اعتمد الأمثل منها وأنه بذل جهداً حميداً في خدمتها وإخراجها على هذه الصورة التي نراها اليوم بين أيدينا. ولكنا مع هذه مازلنا نعتقد أن الكتاب كما تركه صاحبه وكما كان عليه في زمن تأليفه وبعد ذلك بعقود. مازلنا نعتقد أنه بعيد عن متناول أيدينا يقبع في ركن من أركان خزائن المخطوطات المتناثرة في أرجاء المعمورة ينتظر من يكشف عنه ويقدمه للناس وعندها فقط سوف نجد الإجابات الشافية عن كثير من الأسئلة التي طرحت ومازالت.

والذي نميل أليه أن النسخة (النسخ) التي اعتمد عليها هارون وجعلها أصلاً لنشرة الكتاب الذي نتداوله اليوم هي نسخة (نسخ) أحدث عصراً وأغنى عبثاً بها وأَثرى تزيداً عليها من تلك التي كانت أصلاً لنشرة بولاق. ومن أدلتنا على هذا أنا وجدنا سيبويه في نشرة هارون يترحم على أستاذيه الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب معاً. والذي لا خلاف علية عند المؤرخين أن يونس ابن حبيب كان حياً بعد وفاة سيبويه وأنه نظر في كتابه وصدقه فيما نقله عنه. فقد قالوا: لما مات سيبويه قيل ليونس: إن سيبويه ألف كتاباً من ألف ورقة في علم الخليل. فقال يونس ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله؟ جيئوني بكتابه. فلما نظر في الكتاب ورأى ما حكى قال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكى عنى [87].

وإذا كان سيبويه قد توفى بعد يونس فكيف نفسر إذن قول سيبويه في غير موضع من كتابه: "وزعم يونس والخليل رحمهما الله " [88] وقوله " وهذا قول يونس والخليل رحمهما الله"[89] وقوله: "ولم يجز يونس والخليل رحمهما الله "[90] كيف نفسر مثل هذا إلا بأنّ الذي نسخ هذه النسخة كان قد نسخها بعد موت الرجلين بأمد وأضاف إليها هذا الترحم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الترحم على يونس بخاصة لم يرد في الكتاب إلا في هذه المواضع التي أشرنا إليها على الرغم من أن اسم يونس قد ذكر في الكتاب من أوله إلى أخره في (200) موضع [91] كما أن اسمه كثيراً ما كان يقترن مع اسم الخليل في خبر واحد وسماع واحد. ومع هذا نجد الترحم على الخليل وحده دون يونس مثل قوله:

وزعم الخليل رحمه الله ويونس [92].

أو. وسمعناه من الخليل رحمه الله ويونس [93].

أو. وسألت الخليل رحمه الله ويونس [94].

أو. وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس [95].

وغير هذا من التفاوت في النظر الى الرجلين والتفريق بينهما في الدعاء. الأمر الذي يدفع الى الاعتقاد أن الذين تعاوروا الكتاب وتناوبوا على استنساخه كانوا مختلفي المشارب موزعي الأهواء. وليس من حرج بعد هذا إن ادعينا أن هؤلاء النساخ قد خلطوا بين أجزاء الكتاب ألأم وانهم قد أضافوا إليه من جملة ما أضافوا تلك الشواهد الشعرية التي سبق الحديث عنها في الإضاءة الثانية من هذه الدراسة.

وليس من حرج أيضا إن ادعينا أن هؤلاء النسّاخ قد رتبوا بعض مواده ترتيباً عشوائياً هو أقرب الى ترتيب الوراقين منه الى ترتيب النحاة وفقهاء العربية فجاءت بعض مواد الكتاب في غير موضعها الذي يجب أن تكون فيه, ومن غير رابط يربطها بما حولها أو موجب يفرضها حيث جاءت. وقد كشف علي النجدي ناصف رحمه الله عن هذا الوجه من اضطراب الترتيب في الكتاب، فقال: "على أن ثمة أبواباً تبدو في موضعها غريبة مقحمة لم أستطع أن أجد تأويلاً لمقامها حيث تقيم "[96]. كما تحدث عما أصاب الكتاب من تحريف وتصحيف وما أضيف إليه من زيادة وتعليق فقال:" ولقد تعرض الكتاب لبعض ما تعرضت الكتب القديمة له من تغيير في نصوصها وتحريف. وأول ما أصابه من ذلك زيادات أضيفت إليه من تعليقات الأخفش على حواشيه ويظهر أن أمر هذه الزيادات كان معروفاً مسلماً لا يكاد يجهله أحد أويماري فيه أحد[97] ومن بين هذه الزيادات ما نسب لأبي الخطاب الأخفش كما هو معروف [98] ومنها أيضا ما نسب لأبي عمر الجرمي [99].

أما الأخفش فعلاقة سيبويه به علاقة معروفة ومشهورة فهو من أساتيذه الذين أخذ عنهم وقد ذكره سيبويه وروى عنه في كتابه سبعاً وأربعين مرة [100].

وأما الجرمي فهو كما قيل صاحب نسبة كثير من شواهد الكتاب الشعرية الى قائليها.

فقد أثر عنه قوله: " نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً. فأما الألف فعرفت أسماء قائليها فأثبتها وأما الخمسون فلم أعرف قائليها[101] ".

وقد تحدث الإخباريون وكتاب التراجم عن أبي عمر الجرمي فعرّفوا به وذكروا فضله في إظهار كتاب سيبويه للناس ومعرفتهم أنه له بعد أن هَمّ الأخفش بادعائه لنفسه أو كاد. كما تحدثوا

عن أعجاب الجرمي بسيبويه وكتابه مع أن الجرمي ـ كما زعموا ـ لم يلتق[102] سيبويه ولم يعرفه معرفة شخصية. وهو مالا نعتقده ومالا يجب أن يؤخذ به.

فقد مربنا أن الجرمي قال نظرت في كتاب سيبويه...الخ وليس في هذا الخبر ما يدل على أن الجرمي لقي سيبويه أو لم يلقه. كما لا يستفاد من هذا الخبر أن الجرمي كان يعرف سيبويه معرفة شخصية أو لا. ولكن السيوطي يروي لنا هذا القول المنسوب للجرمي بشكل مغاير يثير أكثر من قضية وتسأول. فقد قال السيوطي: قال الجرمي: في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتاً. **سألته** عنها **فعرف** ألفا ولم **يعرف** خمسين[103] فضمير الغائب من قوله (سألته) والفاعل المقدر بالضمير المستتر لكل من الفعلين (عرف) و(يعرف) عائد على سيبويه الذي لم يرد لغيره ذكر في سياق الخبر. وهذا يعني أن الجرمي كان يعرف سيبويه معرفة شخصية وأنه اطلع على الكتاب في حياته وأنه سأله عن شواهده فعرف سيبويه من أصحابها ألفاً ولم يعرف خمسين.

والجديد في رواية الخبر يضعنا أمام احتمالين:

الأول: أن رواية الخبر كما أوردها السيوطي صحيحة وأن الجرمي كان يعرف سيبويه معرفة شخصية وأنه اطلع على كتابه وسأله عن بعض جوانبه وكان الاخباريون قد زعموا أن الرجلين لم يلتقيا وأن الكتاب لم يكن متداولاً ولم يعرفه الناس الا بعد وفاة صاحبه. كما يستفاد من رواية الخبر أن سيبويه كان يحتج في كتابه بشعر لا يعرف قائله.

الثاني: أن السيوطي قد وهم في هذا الخبر أو أنه ساقه من الذاكرة وأنه نسب للجرمي مالم يقله على الرغم من شهرة هذا القول وتداوله بين الناس. وبهذا يكون السيوطي قد أساء الى الرجلين (سيبويه والجرمي) من حيث لم يقدر.

والذي نميل اليه من الاحتمالين هو الأول إذ ليس عندنا ما يمنع أن يكون الجرمي قد لقى سيبويه وعرفه معرفة شخصية وأنه سأله وناقشه في كتابه.

فالرجلان بصريا الموطن.

والرجلان من عصر واحد.

والرجلان كانا قد ناظرا الفراء. وقابساه في كثير من القضايا.

والرجلان أخذا علمهما عن أساتيذ بأعينهم.

والرجلان كانا من المشتغلين بالنحو واللغة والمهتمين بقضاياهما.

إلى غير ذلك من الأمور التي يشترك فيها الزملاء والأقران في كل عصر.

فكيف يعقل إذن ألا يلتقي رجلان توافرت لهما هذه المزايا والظروف؟

وكيف يعقل ألا يجتمعا في بعض الدروس وعند واحد من الأساتيذ أو في البلد الذي يسكنانه؟

لسنا ننكر أن سيبويه أسنّ من الجرمي فقد أجمع الذين ترجموا للرجلين على ان الجرمي توفي سنة 225هـ ولكنهم اختلفوا على وفاة سيبويه فجعلوها في واحدة من السنوات المحصورة بين 161هـ ـ 194 هـ. نقول: لسنا ننكر الفارق السني بين الرجلين ولكننا ننكر أن يكون هذا الفارق حائلاً دون أن يلتقي الرجلان وعقبة تحول دون أن يعرف كل منهما الآخر. ولهذا تكون رواية الخبر كما أوردها السيوطي ـ عندنا ـ أكثر دقة وصدقاً من تلك التي ذكرها سواه ويكون الجرمي بهذا قد عرف سيبويه عن قرب والتقاه وسأله وناقشه في كتابه ويكون سيبويه استناداً الى هذا قد احتج في كتابه بشعر لا يعرف قائله ومالا يعرف قائله فليس بحجة كما أتفق عليه أهل هذه الصناعة.

ولعل ما يدعم هذا الذي ندعيه عن احتجاج سيبويه بالشعر المجهول القائل أننا وجدنا سيبويه يسمع الشعر ممن يملكون أن يعرّفوه بقائله ولكنه لا يسألهم عنه وكأنه لا يريد أن يعرفه أو أن الذي كان يعنيه من الشاهد تحديداً ما جاء فيه لا من قاله.

فقد استشهد في كتابه بقول الشاعر:

وهيج الحي من دار فظل لهم يوم كثير تناديه وحيهله

ثم علق على الشاهد بقوله: "وأنشدناه هكذا أعرابي من أفصح الناس وزعم أنه شعر أبيه[104] " فلو كان سيبويه معنياً بمعرفة قائل هذا الشاهد لسأل هذا الأعرابي عن اسم أبيه ولنسب البيت الى قائله. ولكنه لم يفعل فبقي الشاهد في كتابه حتى يومنا هذا لا يعرف له قائل إلا أنه لرجل من بجيلة أو من بني أبي بكر بن كلاب.

والأكثر غرابة من هذا. وجدنا سيبويه يسمع الشعر من أصحابه الذين قالوه ثم يستشهد به في كتابه دون أن يذكر اسم من قاله. فقد استشهد في كتابه بقول الشاعر:

فتى الناس لا يخفى عليهم مكانه وضرغامه إن هَمَّ بالحرب أوقعا

وبقول الشاعر:

إذا لقى الاعداء كان خلاتهم وكلب على الادنين والجار نابح

ثم علق على الشاهدين بقوله:" كذلك سمعناهما من الشاعرين اللذين قالاهما[105]"

ولو أن سيبويه كان يعرف الشاعرين صاحبي هذين الشاهدين لذكر اسميهما. بل لو كان الشاعران من المشهورين لما بقي الشاهدان حتى هذا اليوم من جملة الشواهد التي لا يعرف لها قائل. وهذا ما يشجعنا على القول: إن سيبويه لم يكن يهتم كثيراً بمعرفة أصحاب الشواهد التي يحتج بها ولم يكن لديه فرق بين أن يكون الشاعر الذي يحتج بشعره مشهوراً أو مغموراً أو أنه ممن يجوز الاحتجاج بشعرهم أو لا، وهذه قضية تستوجب النظر.

Focus on Some Aspects of Siboeh's Biography and his *Kitab*

Hanna Haddad, *Department of Arabic Language and literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims at shedding light on some obscure aspects of Siboeh's life and his *Kitab*, after it has become clear that these aspects are in need of reconsideration and deep meditation. Various related issues, e.g. who a mong his elders tutored him, what tools he used in his poetic illustrations in his *Kitab*, in what ways he used to convey these illustrations, and what position he took regarding its authors, need to be reconsidered. The study tries also to prove that the copy of his *Kitab* we currently use is neither the original copy nor the next-in-line to the original, and that copyists and bookkeepers have slightly modified it over the years. It then becomes urgent to look for another manuscript (other manuscripts) of the *Kitab*, on which the present edition of the *Kitab* is based, so that we will not ascribe to him what is not his and give the grammarian his right.

قدم البحث للنشر في 2004/6/25 وقبل في 2004/10/26

الهوامش

(*) هذا العنوان وما يندرج تحته جزء من المقدمة التي وضعتها لكتاب "الهمز" لأبي زيد الأنصاري الذي حققته وقامت بنشره مجلة "جذور" التي تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجده/ السعودية في الجزء (9) المجلد(5) الصادر في ربيع الآخر 1423هـ تموز 2000 م.

(1) مراتب النحويين واللغويين ص74.

(2) الإنصاف في مسائل الخلاف / المسألة 84.
(3) سيبويه إمام النحاة ص 96.
(4) أخبار النحويين ص 64 ونزهة الألباء ص 126 وبغية الوعاة1/ 582.
(5) سيبويه إمام النحاة ص 96.
(6) المصدر نفسه.
(7) المعارف ص 544 وطبقات اللغويين ص 67.
(8) الكتاب (هارون) 3 / 379.
(9) الكتاب (هارون) 4 / 226.
(10) نفسه (هامش).
(11) تحصيل عين الذهب 2 / 308.
(12) الكتاب (هارون) 1 / 230
(13) نفسه 2 / 244.
(14) نفسه 1 / 405.
(15) نفسه 4 / 121.
(16) نفسه 2 / 113.
(17) نفسه 2 / 140.
(18) نفسه 3 / 406.
(19) نفسه 3 / 265.
(20) نفسه 3 152.
(21) طبقات اللغويين ص 67 والمعارف ص 544.
(22) الإنصاف، المسألة / 99.
(**) نشر معظم ما جاء تحت هذا العنوان في بحث مطول باسم " حول كتاب سيبويه " في العدد المزدوج (19 ـ 20) من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني الصادر في كانون الثاني ـ حزيران سنة 1983 م.
(23) تحصيل عين الذهب 2 / 424
(24) طبقات النحويين واللغويين ص 75 وخزانة الأدب 1 /8، 178.
(25) فهرس شواهد سيبويه ص 9.
(26) شرح أبيات سيبويه 2 /133.
(27) المفصل ص 255.
(28) سورة المنافقون / 10.
(29) خزانة الأدب 3 / 664.
(30) التبصرة والتذكرة ص 359.
(31) المنصف 2 / 57.

(32) التبصرة والتذكرة ص 759.
(33) تحصيل عين الذهب 2 / 36.
(34) العمدة 1 / 148.
(35) التبصرة والتذكرة ص 865 ـ 866.
(36) المقاصد النحوية 2/ 310.
(37) المقاصد النحوية 4 / 385.
(38) شرح أبيات الكتاب 2/ 370.
(39) خزانة الأدب 3 / 196.
(40) الأمالي الشجرية 2 /4.
(41) العقد الفريد 2 / 487.
(42) تذكرة النحاه ص 180.
(43) الكتاب (هارون) 1 / 26.
(44) شرح أبيات الكتاب 1 / 114.
(45) الأمالي الشجرية 2 / 37 ـ 38.
(46) المذكر والمؤنث ص 552.
(47) المخصص 3 / 81.
(48) شرح شذور الذهب ص96.
(49) شرح أشعار الهذليين ص 558.
(50) المقاصد النحوية 2 / 476.
(51) الجامع لأحكام القرآن 1 / 433.
(52) الروض الانف 2 / 99.
(53) التفسير الكبير 3 / 132.
(54) لسان العرب " مثل " 14 / 132.
(55) المقاصد النحوية 4 / 409.
(56) الجامع لحكام القرآن 3 / 331.
(57) الذيل والتكملة والصلة 5 / 424.
(58) الدرر الوامع 1 / 96.
(59) شرح حماسة ابي تمام ص 1784.
(60) شرح أبيات سيبويه 2 / 343 ـ 344.
(61) اللامات ص 773.
(62) المرتجل ص 40.
(63) المقاصد النحوية 4 / 378.

(64) شرح شواهد المغني ص 172.
(65) خزانة الأدب 2 / 311.
(66) الكتاب 1 / 311.
(67) معجم البلدان (أبنم).
(68) تحصيل عين الذهب 1 / 471.
(69) التبصرة والتذكرة ص 858.
(70) العقد الفريد 5 / 357.
(71) لسان العرب (فقد) 4 / 334.
(72) شرح المفصل 9/ 84.
(73) التمام في تفسير أشعار هذيل ص 65.
(74) شرح أبيات سيبويه 1/ 107.
(75) شرح المفصل 4 / 130.
(76) شرح أبيات سيبويه للنحاس ص 38.
(77) المصدر السابق ص 19.
(78) السابق ص 77، 205.
(79) السابق ص 61 ـ 68.
(80) شرح أبيات سيبويه ص 61.
(81) المصدر السابق ص 87.
(82) المصدر السابق ص 68.
(83) المصدر السابق ص 61.
(84) المصدر السابق ص 48.

**** جزء مما جاء تحت هذا العنوان سبق أن نشره صاحب الدراسة في العدد السادس والأربعين من مجلة اللسان العربي الصادر عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط/ المغرب سنة 1998 بعنوان: " الخليل بي أحمد والكتاب ".

(85) نزهة الألباء ص 134.
(86) ذخائر التراث العربي الإسلامي 1 / 584.
(87) طبقات النحويين واللغويين ص 52.
(89) الكتاب (هارون) 1 / 428.
(89) نفسه 2/ 14، 338.
(90) نفسه 2 / 159.
(91) سيبويه امام النحاه ص 94، 102.
(92) الكتاب (هارون) 2 / 205.
(93) نفسه 2 / 214.

(94) نفسه 2 م 236.
(95) نفسه 2 / 374.
(96) سيبويه إمام النحاة ص 184.
(97) نفسه ص 156.
(98) انظر مثالاً له: الكتاب (هارون) 1 / 80
(99) أنظر مثالاً له / الكتاب (هارون) 3 / 636 ـ 637.
(100) سيبويه إمام النحاة ص 95، 102.
(101) طبقات اللغويين والنحاة ص 75، وخزانة الأدب 1 / 178. وقد نسب هذا القول الى ابي عثمان المازني أيضاً (انظر " خزانة الأدب" 1 /8).
(102) نزهة الألباء ص 143، وابناه الرواة 2 / 80، ووفيات الأعيان 2 / 485، وتاريخ بغداد 9 / 314.
(103) بغية الوعاة 2 /229 ترجمة سيبويه.
(104)الكتاب (هارون) 3 / 300 (بولاق 2 / 52.
(105) الكتاب (هارون) 2 / 68 ـ 69 (بولاق) 1 م 251.

المصادر والمراجع

ابن الانباري: **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط3، القاهرة 1955 م.

ابن الانباري: **المذكر والمؤنث**، تحقيق: الدكتور طارق الجنابي، بغداد 1978 م.

ابن الأنباري: **نزهة الألباء**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1967م.

ابن الخشاب: **المرتجل**، تحقيق: علي حيدر، دمشق 1972 م.

ابن السيرافي: **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق محمد علي الريح، القاهرة 1974 م.

ابن الشجري: **الأمالي الشجرية**، حيدر أباد، الهند 1349 هـ.

ابن جني: **التمام في تفسير أشعار هذيل**، تحقيق أحمد ناجي القيسي وآخرين بغداد 1962 م.

ابن جني: **المنصف في شرح تصريف المازني**، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، القاهرة 1954 ـ 1960 م.

ابن رشيق القيرواني: **العمدة**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة 1955م.

ابن سيده: **المخصص**، 1316 ـ 1321 هـ (طبعة مصورة).

ابن عبد ربه الاندلسي: **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين وآخرين، دار الكتب بالقاهرة 1940 ـ 1968 م.

ابن فارس، احمد: **اللامات**، تحقيق شاكر الفحام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج4 العدد 48 لسنة 1973 م.

ابن قتيبة: **المعارف**، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة، ط2، القاهرة 1969م.

ابن منظور الإفريقي: **لسان العرب**، بولاق 1300 ـ 1307 هـ (طبعة مصورة).

ابن هشام: **شرح شذور الذهب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (طبعة مصورة) القاهرة بلا تاريخ.

ابن يعيش: **شرح المفصل**، مطبعة المنيريه بالقاهرة بلا تاريخ.

أبو جعفر النحاس، **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق: زهير غازي زاهد بغداد 1974 م.

أبو حيان الاندلسي: **تذكرة النحاة**، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن، بيروت 1986 م.

أبو سعيد السيرافي: **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق د. محمد ابراهيم البنا، القاهرة 1985م.

أبوالطيب اللغوي: **مراتب النحويين**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة 1955م.

الأعلم الشنتمري: **تحصيل عين الذهب**، مطبوع بهامش كتاب سيبويه، بولاق 317 هـ.

البغدادي: **خزانة الأدب**، بولاق 1299هـ.

الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة1973 م.

الزمخشري: **المفصل**، ط2 ن دار الجيل، بيروت (طبعة مصورة).

السكري: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة بلا تاريخ.

السهيلي: **الروض الأنف**، نشره عبد الرؤوف طه سعد، القاهرة 1973 م.

سيبويه: **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون (طبعة مصورة) ط3. بيروت 1983م.

سيبويه: **الكتاب**، طبعة بولاق 1316 هـ.

السيوطي: **بغية الوعاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1965 م.

الشتقيطي: **الدرر اللوامع**، القاهرة 1328 هـ (طبعة مصورة).

الصفاني: **الذيل والتكملة والصلة**، تحقيق عبد الحليم الطحاوي وآخرين، دار الكتب المصرية 1970 ـ 1977 م.

الصيمري: **التبصرة والتذكرة**، تحقيق الدكتور فنحي أحمد مصطفى، منشورات جامعة أم القرى 1982 م.

عبد الرحمن، عبد الجبار: **ذخائر التراث العربي الإسلامي**، بغداد 1981 م.

عبد القادر البغدادي: **شرح أبيات مغني اللبيب**، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، دمشق 1973 م.

العيني، **المقاصد النحوية**، مطبوع على هامش خزانة الأدب للبغدادي بولاق 1299هـ.

القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية 1923 ـ 1949م.

القفطي: **أنباه الرواة**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية 1950 ـ 1973 م.

المرزوقي: **شرح حماسة أبي تمام**، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة 1951 ـ 1953 م.

ناصف، علي النجدي: **سيبويه إمام النحاة**، ط 2، عالم الكتب بالقاهرة 1979 م.

النفاخ، أحمد راتب: **فهرس شواهد سيبويه**، بيروت 1970م.

ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر بيروت (طبعة مصورة).